

(٢)

إبراهيم (عليه السلام) : { قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى } ، ولأن الوالد قد رَغِبَ أن يشاركه ابنه في الجزاء الأوفى بإعلان الاستسلام لأمر الله (عز وجل) فقد أخبر الوالد ولده بالأمر قائلاً: { يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى } ، فكان نعم الولد طاعةً وانقياداً ، { قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّائِرِينَ } ، فضرب الوالد وولده مثلاً رائعاً ، وأنموذجاً خالداً للتضحية ، وصدق التسليم ، وحسن الامتثال لأمر الله (عز وجل) .

وقد اقتضت سنة الله (عز وجل) أن يلازم الفرج للشدة ، وأن تأتي المنحة مع المحنة ، لذا فقد جاءت عطاءات الله (عز وجل) متتابعة إكراماً للوالد وولده ، قال تعالى : { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } ، فكانت الشهادة الربانية للبلاء بالشدة الظاهرة ، وللنبين الكريمين بالإحسان وحسن المراقبة ، ثم كان الفداء من الله (عز وجل) لإسماعيل بذبح عظيم ، وأبقى الله (عز وجل) لإبراهيم (عليه السلام) الذكر الحسن ، والثناء الطيب ، إجابةً لدعوته : { وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ } .

على أننا نوكد أن الفرح بالعيد عبادة وطاعة ، فحق المسلم أن يفرح بيوم العيد ، ففي الأعياد تتجسد مظاهر الفرح المشروع ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، فَقَالَ : (مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟) ، قَالُوا : كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا : يَوْمَ الْأَضْحَى ، وَيَوْمَ الْفِطْرِ) ، وفي هذا الابتهاج بيان لعظمة هذا الدين ، وإظهار لسماحته ، ومناسبة شعائره لطبيعة

النفوس البشرية ، فيوم العيد هو يوم سعادة وسرور وإدخال البهجة والفرحة على الناس جميعا ، فينبغي في الأعياد التوسعة على الأهل والأبناء والأحفاد بكل مظاهر التوسعة المباحة ؛ بالطعام والشراب والثياب والنفقات ، وغير ذلك ، وهذا كله من الأمور التي يثاب الإنسان على فعلها ، فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) : (إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهُ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا ، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ) ، وكذلك ينبغي للإنسان أن يكون حريصاً على إدخال السرور على الناس جميعا ، خاصة الفقراء والمساكين واليتامى ، حتى لا يكون بيننا محتاج أو بائس في هذا اليوم .

ولقد شرعت الأضحية لتحقيق هذه المعاني الإنسانية النبيلة بقصد التوسعة على الأهل ، وتحقيق التكافل بين أبناء المجتمع ، وهي كذلك إحياء لذكرى سيدنا إبراهيم (عليه السلام) ، وإحياء للسنة المحمدية بالتقرب إلى الله تعالى ، وهي عبادة يُؤجر عليها صاحبها الأجر العظيم ، وشعيرة من شعائر الله التي ينبغي تعظيمها ، حيث يقول سبحانه: { ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } ، وهي ذبيحة طيبة هدفها الأول والأسمي تحقيق تقوى الله (عز وجل) التي تدفع العباد إلى كل خير ، وتمنعهم عن كل شر ، وتأخذ بنواصيهم إلى تحري مرضاة الله تعالى ، يقول سبحانه: { لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ } .

مع تأكيدنا على أنه ينبغي أن نجعل من الأضحية مظهراً من مظاهر عظمة الإسلام ، وورقيه ، وحضارته ؛ فلا ينبغي الذبح في مداخل العمارات ، ولا البيوت ، ولا الشوارع ، ولا الأزقة ، ولا أمام المساجد والمستشفيات ، مما ينتج عنه أضرار صحية ، وصورة غير حضارية ، وقد حرم الإسلام الضرر ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه

(٤)

وسلم): (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) ، كما أن ديننا الحنيف أمرنا بتطهير الطرقات ، وإبعاد الأذى عنها ، وعد ذلك من شعب الإيمان ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (الإيمانُ يَضَعُ وَسْبَعُونَ - أَوْ يَضَعُ وَسْتُونَ - شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ).

مع تأكيدنا أن سنة الأضحية كما تتحقق بالذبح تتحقق بالإنابة من خلال صكوك الأضاحي التي تسهم في الوصول إلى مستحقيها الحقيقيين أينما كانوا بعزة وكرامة.

الخطبة الثانية :

الحمد لله ، والله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، الحمد لله وحده ، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، ومن أهدى بهديه إلى يوم الدين .

إخوة الإسلام :

يجب علينا في يوم العيد أن نحرض على تقوية الروابط الإنسانية والصلوات المجتمعية ، ومن أهمها : صلة الأرحام التي تعد من أعظم الواجبات ، وأفضل الطاعات ، فيها تنتشر المحبة بين الأهل والأقارب ، وتتآلف القلوب ، ويبارك الله بها في العمر ، ويسط بها في الرزق ، ويبارك بها في المال ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) ، والصلة تقتضي العفو والصفح ، ودفن السيئة بالحسنة ، لذا يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ الْوَأْصِلُ بِالْمُكَافِي ، وَلَكِنَّ الْوَأْصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَّهَا) .

وكذلك يستحب العمل على توطيد العلاقات الاجتماعية بين الناس جميعاً ، بالتزاور والتلاقي ، والتصافح ، والتهاني ، والتآلف ، والتعارف ، ونشر التراحم بين الناس كافة ، وذلك من أسمى العبادات التي تستجلب محبة الله (عز وجل) ، فعن

(٥)

أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرَادَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، يَا نَّ اللهُ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ).

ولقد كان من هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذا اليوم أن يخرج المسلم إلى المصلى ماشيًا، فعن علي (رضي الله عنه) قال: (مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْعِيدِ مَاشِيًا)، فلا يركب إلا من عذر، أو بعد مسافة، وكذلك كان من هديه (صلى الله عليه وسلم) أن يذهب المسلم إلى مُصَلَّاهُ مِنْ طَرِيقٍ، ثم يرجع من طريق آخر، فعن جابر ابن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ، وذلك حتى يشهد له الطريقتان عند الله يوم القيامة، وليكون ذلك فرصة للقاء عدد كبير من الناس؛ فيتبادلوا التهاني فيما بينهم بهذا اليوم المبارك، فعن جبير بن نفير (رضي الله عنه)، قال: كان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: "تَقَبَّلْ مِنَّا وَمِنْكَ".
اللهم اجعله عيد خير وبركة وأمن وسخاء ورخاء على مصر وسائر بلاد العالمين .